

ديوان

المغربيين

من شعر

صالح الدين القوصي

(الجزء الرابع)

الطبعة الأولى

غرة المحرم ١٤٢١هـ - أبريل ٢٠٠٠م

وقف لله تعالى لا يباع

(١)

﴿الْبِرِّزْخُ﴾

﴿الْبِشْرَى﴾

﴿ الْمَبْرُورِ ﴾ ﴿ الْبُشْرَى ﴾

بِسْمِ الْكَرِيمِ إِلهِنَا الرَّحْمَنِ
مَنْ عَلَّمَ الْأَرْوَاحَ بِالْقُرْآنِ
وَعَلَا .. فَقَدَّسَ ذَاتَهُ التَّقْلَانِ
وَلَهُ سَجُودُ الْكُلِّ فِي الْأَكْوَانِ

فِي نُورِ قَدْسِكَ سِرٌّ مِنْكَ يَا تِينَا
سِرٌّ بِهِ نَحْيَا وَالنُّورَ يَفْنِينَا
وَالْكَلُّ أَمْوَاتٌ .. لَكِنْ أَرْضِينَا
تَحْيَا وَنُورٌ ” الْمَصْطَفَى “ فِينَا

مِنْ يَوْمِ قِيلَ لَنَا : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
وَأَجَبْتُ: بَلَى.. وَأَشْرَقَ نُورُكُمْ
وَأَنَا الْغَرِيقُ بِقُدْسِكُمْ وَبِحَبِّكُمْ
لَمْ أَلْتَفِتْ أَبَدًا لِغَيْرِ جَمَالِكُمْ

مِنْ نَوْرِ سِرِّكَ مِنْتَهَى إِشْرَاقِي
وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ فِي اسْتِغْرَاقِي
كُلُّ الْوُجُودِ مَسْبُوحُ الْخَلَاقِ
وَإِذَا نَظَرْتَ .. فَتَمَّ وَجْهُ الْبَاقِي

يَا وَاحِدٌ أَحَدٌ .. وَلَيْسَ لَكُمْ مَثَلٌ
كُلُّ الْوُجُودِ لَكُمْ تَضَرَّعٌ وَامْتِثَلٌ

مَا تَمَّ حَيٌّ غَيْرِكُمْ مِنْذِ الْأَزْلِ
وَجَمِيعَ مَا يَبْدُو لَنَا فَلَهُ أَجَلٌ

مَا تَمَّ مَخْلُوقٌ لَغَيْرِكَ عَابِدٌ
طَوْعًا وَكَرْهًا سَيِّدِي لَكَ قَاصِدٌ
وَالْمَلِكُ وَالْمَلَكُوتُ عِنْدَكَ شَاهِدٌ
أَنَّ الْوُجُودَ إِلَيْكَ قَهْرًا سَاجِدٌ

مَا غَيْرُكَ الْقَهَّارُ فَوْقَ عِبَادِهِ
مَا غَيْرُكَ الْفَعَّالُ فِي أَجْنَادِهِ
مَا غَيْرُكَ اسْتَعْلَى عَلَى إِفْرَادِهِ
وَإِلَيْكَ كُلُّ الشُّكْرِ مِنْ عِبَادِهِ

فِي "بَرْزَخِ" الْحَضْرَاتِ كُلِّ الْخَلْقِ لَنْ
يَعْدُونَ قَوْلَ الْحَقِّ فِي الْأَكْوَانِ: كُنْ
فَافْتَحْ لَكُمْ بَابًا إِلَى الْمَوْلَى .. وَمِنْ
أَسْرَارِ مَا يَبْدُو لَكُمْ فَاحْفَظْ وَصُنْ

إِنِّي أَصَخْتُ السَّمْعَ فَوْقَ جِبَالِهَا
وَسَمِعْتُ تَسْبِيحًا وَتَرْنِيمًا لَهَا
وَسَمِعْتُ مِنْ أَرْضِ الْفَلَاةِ مَقَالِهَا
حَتَّى الْوَحُوشِ مَسْبُحَاتِ كُلِّهَا

وَالطَّيْرُ سَبَّحَ فِي السَّمَاءِ الْإِلَهَهُ
وَالْبَحْرُ سَبَّحَتْ الْعَظِيمَ مِيَاهُهُ

وحصى الجبال ورملة .. كلُّ شئ له
تقديسه .. والنجم يسجد حاله

نفسى وسمعى والبصيرة والنهى
والدمعُ والبسماتُ .. بل والمنتهى
والحوتُ فى الأعماق .. بل حتى السها
ما غير وجهك سيدى وجه لها

يا ظاهرأ فىنا .. وأخفى باطن !!
يا نور ذاتى فى الفؤاد وفاتنى
وجلال وجهك ما جمالك فاتنى
فى كل خلقى فى وجودك كائن

عَبْدٌ أَنَا .. يَا سِيدِي فِي قُدْسِكُمْ
وَالْقُدْسُ مَا فِيهِ سَوَى أَنْوَارِكُمْ
كُلُّ الصِّفَاتِ تَذُوبُ عِنْدَ جَلَالِكُمْ
تَفْنِي .. وَتَبْقَى عِنْدَ سِرِّ جَمَالِكُمْ

يَا نُورَ وَجْهِ شَعٍّ فِي مِرَاتِي
فَصَفَى مِنْ الْأَغْيَارِ قُدْسُ الذَّاتِ
فِيهَا انطوى ماضٍ وما هو آتِي
حَتَّى رَأَيْتُ وِلَادَتِي وَمَمَاتِي !!

شَاهَدْتُ فِي الْمِرَاةِ أَنْوَارَ السَّنَا
فَظَنَنْتُ وَهَمًّا أَنْ ذَاكَ هُوَ الْمُنَى

ثمَّ انتبَهتُ .. فما رأيتُ سِوَى الفنا!!
فصرختُ : هذا أنت أم هذا أنا؟؟

باللَّه قل لي يالبيبُ فمن أنا؟
أأنا بعيدٌ عنه أم مِمَّنْ دَنَا
طوراً أراهُ يلبُّ قلبي ساكنا
وبسرعة البرق اختفى حتى الفنا

أنا ”برزخي“ فوق الصفات وليس لي
بالاسم أو بالفعل أدنى شاغلٍ
في نورِ قُدسِ الذاتِ ربُّكَ جاعلي
والعرشِ بين سواعدي وكواهلي!!

”نفسى“ بأرضى .. و”الفؤاد“ له السما
و”القلْبُ“ فى الملكوتِ لَمَّا أَنْ سَمَا
و”الروح“ عند العرشِ فيه قد انتمى
أَمَّا ”اللَّهِى“ فى طوفٍ من حولِ الحمى

أنا برزخى فى الصورِ من قولى: بَلَى
لا الأرضُ تحوِينى ولا السماواتُ العُلَى
يا منكرى .. إن شئت فاسمعْ مَنْ تلى:
”لَمَّا كَشَفْتُ غِطَاءَكَ البصرُ انجلى“

قالوا: جُنَّتَ .. فقلتُ: برزخنا به
الدنيا مع الأخرى لقلبِ نايه

والملكُ والملكوتُ بعضُ حِجَابِهِ
وأنا الذي أحيَا على أعتابِهِ

دنيا نُكَايِدُهَا ونرفَعُ شَأْنَهَا
واللَّهِ أَنْزَلَهَا .. وأقللُ شَأْنَهَا
مهْمَا لَكَ ابْتَسَمْتَ لَدَيْكَ .. فَإِنَّهَا

لا تَرْتَجِي فِيهَا البَقَا أو أَمْنَهَا

فِيئًا وفِيكُمْ يَا بُنَيَّ عَجَائِبُ
والرُّوحُ تَخْفَى .. والقلوبُ قَوَالِبُ
إِنْ كُنْتَ تُعْرِفُ كَيْفَ يَحْلِمُ غَائِبُ
عن وعِيهِ ... فَلَأَنْتَ قَوْلِكَ صَائِبُ!!

الناس فى الدنيا بُئى نيامُ
فإذا انتهوا منها تراهم قاموا
فى غفلة كانوا وهم أجسامُ
فأفق وكن فيمن بربك هاموا

لك سيدى قد أحرمتُ أعضائى
وعلى السوى حرمتُ ظلِّ ردائى
يا كعبتى .. يا قبلتى وبقائى
فى نورِ قدسِكَ برزخى وفنائى

لما سعتُ رأيت من فوق ” الصفا“
” الكعبة“ الغرا ونور ” المصطفى“ !!

ورأيتُ فوقَ "المروة" العظمى الوفا
للعهدِ والميثاقِ مِمَّنْ قد صفا !!

روحي من الرحمن حول العرشِ
والقلب عند "محمد" كالفرشِ
والجسم في كوني له كالنقشِ
والسِرُّ عندي لا أذيعُ وأفشي

بيني وبينك سِرُّ نورِ "محمدِ"
والرحمةُ العظمى حجَّابك سيدي
وأنا الغريق ولست أرجو مُنجدي
"فمحمدٌ" هَدْيِي وخير المرشدِ

ورأيتُ كلَّ الخيرِ في نورِ النبي
وبه يحيطُ المصطفىُّ ويحتبى
فرجوتُ أن يختارنى أو يحتبى
فوضعتُ رأسى في حماه ومنكبى

فى بحر نور "محمدٍ" .. أنا هائمٌ
أطفو .. وأغطس ساعة أو عائمٌ
والدرُّ فيه مفاتح وخواتمٌ
وأنا على كثر الهدايا قائمٌ

وبكيتُ من حُبِّ الرسولِ وآله
وارتجَّ جسمى من فؤادٍ وآله

فَرَنَا إِلَى .. وزاد نور جماله
وسمعتُ: أبشِرُ .. من جميل مقاله

والله يا خيرَ الخلائق والرسل
ولأنت فردوسى وعدنى فى الأزل
ما غير نورك أرتجى أو أبتهل
أو غير بحرك منه يوما أنتهل

عدنى .. وفردوسى وكلُّ جنانى
نور الحبيب "المصطفى" العدنان
لما تكرم سىدى وسقانى
ذاب الفؤادُ وضاع كلُّ زمانى

وَاللَّهِ يَارُوحَ الْفُؤَادِ وَنُورَهُ
يَانُورُ لَيْلٍ فِي الْحَيَاةِ .. وَفَجْرَهُ
لَمَّا رَأَيْتُ جَمَالَكُمْ وَبُدُورَهُ
وَالْقَلْبُ شَاهِدٌ وَجْهَكُمْ وَسُرُورَهُ

وَسَعَيْتُ أَجْرِي سَيِّدِي لَكَ مُقْبِلًا
وَمَعَانِقًا هَذَا الْجَمَالَ مُقْبِلًا
شَرَّفْتَنِي بِإِشَارَةٍ لِي قَائِلًا:
إِنَّا رَضِينَا لَا تَخَفُ مِنَّا الْقَلِيَّ

مَا شَاءَ رَبُّكَ أَنْ تَقُومَ بِهِ لَنَا
فَافْعَلْهُ سِرًّا إِنْ أَرَدْتَ وَمَعْلَنَا

واختر لكم عونا يؤيدكم بنا
بُشراك أنك خادمي من أهلنا

وجريت كالممسوس من فرط الفرح
أبكي وأضحك والفؤاد قد انشرح

و"الكبش" قد أقسمت أني من ذبح
بيدي .. علي أن أكون كمن ربح

تاج علي رأسي .. وحق الله
بشري الحبيب .. أمين سر الله

وجلال ربك يا "ابن عبد الله"
أنا ساجدٌ شكراً لفضل الله

وَلَأَنْتَ تَعْلَمُ سَيِّدِي حُبِّي لَكُمْ
مَهْمَا دَنَا قَدْرِي .. أَزِيدُ بِحَبِكُمْ
وَأَنَا الْعَصِيُّ الْمَذْنِبُ الْعَاصِي .. وَكُمْ
مِنْ فَرْطِ عَصِيَانِي أَلُوذُ بِبَابِكُمْ

فِيكُمْ حَيَاتِي .. وَالْمَمَاتُ .. وَجَتِّي
يَا كَنْزَ أَنْوَارِي وَقُوَّةَ عُدَّتِي
وَاللَّهُ لَوْ غَفَلَ الْفُؤَادُ وَمَهَجْتِي
عَنْ حَبِكُمْ نَبْضًا .. هَلَكْتُ بِغَفْلَتِي

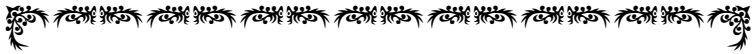
يَا سَيِّدِي - بِاللَّهِ - فَاجْبُرْ خَادِمًا
لِنِعَالِكُمْ .. وَاللَّهُ أَمْسَى نَادِمًا

لَمَّا أَضَاعَ الْعُمَرُ جَهْلًا قَبْلَ مَا
يَحْظَى بِنُورِ جَمَالِكُمْ أَوْ يَعْلَمَا

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا لَيْلٌ سَجَى
أَوْ سَبَّحَ الْعِبَادُ فِي سُذْفِ الدُّجَى
أَوْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ .. وَمَا عَبْدٌ نَجَا
مِنْ كُرْبَةٍ وَوَدَعَا وَأَخْلَصَ وَارْتَجَى

يَا رَبُّ مِنْكَ صَلَاتِكُمْ أَبْدًا عَلَيْهِ
تَرْضَى بِهَا عَنَا وَتَجْعَلُنَا لَدَيْهِ
مِنْ خَيْرِ صَفْوَتِهِ لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَالْفَضْلُ مِنْكُمْ ... كُلُّ خَيْرِكُمْ إِلَيْهِ

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا يَا حَاضِرِينَ
زِيدُوا عَلَيْهِ صَلَاتِكُمْ يَا سَامِعِينَ
صَلِّ الْإِلَهَ مَعَ الْكِرَامِ الْأَقْرَبِينَ
أَبْدَأْ عَلَى خَيْرِ الْعِبَادِ الْمُرْسَلِينَ



أول رمضان ١٤٢٠ هـ - ديسمبر ١٩٩٩ م

